السيرة النبوية

(دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة
الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن)

السيرة النبوية

دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن

تأليف

د. أحمد أبو زيد

1/19/05

الناشر:

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد.
ص.ب ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان.
تلفون ٢/ ٣٥٠٧٢١ (١ـ٩٦١+)
تلفون + فاكس: ٣٤٢٠٠٥ ـ ٣٥٣٠٠٠ (١ـ٩٦١+)
e-mail: allprint@cyberia.net.lb

© حقوق النشر محفوظة للإيسيسكو

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٤ م

تصميم الغلاف: عبّاس مكّي
الإخراج الفني: بسمة تقي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدم للقارئ سلسلة من الدراسات والبحوث الإسلامية الفقهية واللغوية والتاريخية؛ وهي ثمرة تعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ ودار التقريب بين المذاهب الإسلامية، في مشروع نشر مشترك.

وكان للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ شرف الإقدام على نشر تلك الأعمال وتهيئة المناخات المتاحة لها، من حيث تخيّر صفوة من الباحثين الأكفاء، والدعوة إلى ندوات تسهم في إغناء المدى الفكري للموضوعات المختارة، أو للشخصيات المدروسة.

ثم كان لدار التقريب أن نهضت بعبء إعادة نشر هذه الأعمال الرائدة، بالاتفاق مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ بهمّة عالية، ومسؤولية بلغت حد الإتقان،

نظراً لما لهذه الأبحاث من أهمية للقارئ، لأنّ معدّي هذه الأبحاث هم صفوة من العلماء والباحثين ولأن هذه الأبحاث تغني المكتبة العربية الإسلامية.

وقد كلفت الدار فريقاً من الباحثين المتخصصين في هذه المجالات بمراجعة النصوص فشذّبت بعض المكرور في الأبحاث، أملاً في الوصول إلى ما يسمى «وحدة التأليف»؛ لأن كل باحث في الندوة يكتب وفاقاً لمنهجه الشخصي من غير مراعاة لمناهج الباحثين الآخرين، في حين أن هذه البحوث حين تُعَدّ للنشر تخضع لمعيارية التشذيب التي تسهم في حسن التوليف.

ولأن هذه الدراسات تستند في أكثر شواهدها إلى الآيات القرآنية الكريمة، فقد تحققنا تحقّقاً دقيقاً من أسماء السور ونصوص الآيات وأرقامها؛ ولأن بعض هذه الدراسات يشتمل على أسماء أعلام وشواهد تحتاج إلى ضبط وتدقيق، فقد ضبطنا ما ينبغي ضبطه، ودققنا فيما ينبغي التدقيق فيه.

ودار التقريب والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ يهمّهما، وهما تقدّمان هذه السلسلة للقارئ، أن تكونا قد أسهمتا في نشر المعرفة الإسلامية الصافية، وتيسير الوصول إلى مصادرها الأصيلة.

والله وليّ التوفيق

تقديم

تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بعمل دؤوب لدعم الثقافة الإسلامية وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والتشويه. ويَتَكَامَلُ عملُها في هذا المجال، مع جهودها لتصحيح المعلومات والمفاهيم الخاطئة التي تنشر عن الإسلام والمسلمين في دوائر المعارف والموسوعات والمراجع المتداولة والمعتمدة. وتُعنى المنظمة الإسلامية على وجه الخصوص بتصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولندا، لما لهذه الموسوعة من أهمية ثقافية تستمدها من انتشارها الواسع في أوساط الباحثين والدارسين.

ولقد عُنيت المنظمة الإسلامية منذ سنوات، بالردّ على ما ورد في الموسوعة الإسلامية، الآنفة الذكر، من أخطاء وافتراءات تتعلق بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية. وتولت تفنيدها وقامت بدحضها بالأسلوب العلميّ الرصين، وبالمنهجية الجامعة بين أدوات البحث التاريخي المنزَّه، وبين أساليب الردّ الموضوعيّ الأمين. ونشرت ذلك في كتابين صدرا في ثلاث طبعات باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية.

ويسير هذا الكتاب الذي تصدره المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة اليوم، وفق الخطة المنهجية التي اعتمدها الكتابان الأولان؛ فهو يتناول، بالردّ المنصف القائم على الحجة والبرهان والمستند إلى المنطق والدليل، ما ورد في هذه الموسوعة من أخطاء وافتراءات حول السيرة النبوية، مما لا يمتّ بأدنى صلة إلى حقائق التاريخ وأصول البحث العلمي الذي يقوم على الموضوعية والإنصاف والحياد الفكري، وذلك نتيجة الاعتماد على مصادر ضعيفة ومراجع مشبوهة، والإهمال المقصود لما صحَّ من المصادر التاريخية المنزَّهة عن الهوى والغرض.

وفقنا اللّه إلى ما فيه الخيرُ لديننا، ولثقافتنا، ولحضارتنا، واللّه المسؤول أن ينفع بعملنا هذا شداةَ الحق وطلابَ المعرفة، من الباحثين والدارسين.

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية

للتربية والعلوم والثقافة

المقدمة

الحمد للّه الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وجعله مبشّراً ونذيراً، وهادياً وسراجاً منيراً، وصلى اللّه وسلم على أكرم رسله وصفوته من خلقه، اصطفاه من الناس وحلّاه بأكمل الأوصاف، وزينه بأفضل الأخلاق، وجعله قدوة حسنة للناس أجمعين.

وبعد:

فإن للسيرة النبوية العطرة فوائد جليلة، ومنافع عظيمة، فهي السجلّ الأمين لحياة النبي (ص)، والمرآة الصافية لأخلاقه وأحواله وشمائله، والسراج المنير الذي أقامه اللّه على الأرض ليضيء للبشرية طريقها القويم، على صفحاتها يطالع المسلم والناس أجمعين، المثل الأعلى للكمال البشري مشخّصاً في حياة رجل يمشي على الأرض ويعيش حياته الواقعية بين الناس (ص).

هذا من فضل اللّه على الناس، لأن الإنسان ـ كما هو معلوم لدى علماء التربية والأخلاق ـ لا يتأثر ولا يسمو في

سلوكه وأخلاقه، إذا قدمت إليه الفضائل الخلقية والمثل العليا في صورةٍ مثالية أو نظريات مجردة، وإنما يتأثر بها عندما يشاهدها مجسمة في صور واقعية ومواقف إنسانية.

من هنا كان للسيرة النبوية التي تعرض بين صفحاتها الواقعية العطرة، ومواقفها الإنسانية المضيئة، القدوة الحسنة، والأنموذج الأسنى للكمال البشري الذي يدعو الناس كافة إلى الارتقاء في مدارجه، فوائد جليلة، ومكانة عزيزة في حياة المسلمين.

لهذا عني المسلمون بتسجيل سيرة النبي (ص)، ونقل كل ما شاهدوه من أحواله وأفعاله وأخلاقه. ونهض بذلك رجال عدول من الصحابة والتابعين، فنقلوا للناس بصدق وأمانة الصورة الحقيقية لحياته (ص) وشمائله الطيبة وأخلاقه وأوصافه السنّية.

ثم جاء المستشرقون فأظهروا اهتماماً كبيراً بحياة النبي (ص) وسيرته، وألّفوا وكتبوا لأهداف متباينة، وكان منهم المنصفون، وهم قلة قليلة؛ والمتعسفون، وهم الكثرة الكثيرة.

ثم قامت الموسوعة الإسلامية، التي نشرتها دار بريل التي يوجد مقرها في مدينة لايدن بهولاندا، باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية في أكثر من طبعة، منها طبعة عام **١٩٩٣**، لتقدّم خلاصة ما انتهت إليه البحوث الاستشراقية في موضوع السيرة النبوية، مع ميل كبير إلى مواقف المتعسّفين من أصحاب تلك البحوث.

ونظراً لما لهذه الموسوعة في الأوساط العلمية في الغرب

والشرق من أهمية، وما تتمتّع به من الانتشار الواسع بين الباحثين في جميع فروع الثقافة والمعارف الإسلامية، فإن مراجعة موادّها وتصحيح أخطائها المنكرة في السيرة النبوية وغيرها، أصبح أمراً ضرورياً وواجباً مفروضاً، ومسؤولية ملحّة على المسلمين، دفاعاً عن النبي (ص)، وإنصافاً لسيرته الطاهرة، وإظهاراً للحق، وإزهاقاً للباطل.

والمواد المتعلقة بالسيرة النبوية متناثرة بين صفحات هذه الموسوعة، وبين موضوعاتها وموادّها، والمادة الجامعة لموضوعات السيرة ومراحلها هي مادة: «**محمد نبي الإسلام**»، التي تشغل منها **٢٧** صفحة، حشدت فيها الموسوعة الكثير من أخطاء المستشرقين ومزاعمهم الباطلة.

ووردت إشارات عابرة إلى جزئيات من أحداث السيرة النبوية في مواد أخرى من الموسوعة.

منها ما يتعلق بأسماء الأماكن التي عاش فيها النبي (ص) جزءاً من حياته أو حل بها، أو رحل إليها مثل: «مكة» و«المدينة» و«الطائف».

ومنها ما يتعلق بأسماء الغزوات وأماكن وقوعها مثل «بدر»، و«أحد»، و«الأحزاب»، و«الحديبية»، و«حنين»، و«مؤتة»، و«تبوك».

ومنها ما يتعلق بأسماء الطوائف والأحياء العربية أو اليهودية، مثل «الحنفاء»، و«الرهبان»، و«بني المصطلق»، و«بني

سليم»، و«أهل نجران»، و«بني قينقاع»، و«بني النضير»، و«بني قريظة».

ومنها ما يتعلق بأسماء الصحابة، رضي اللّه عنهم، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي... وغيرهم، أو بأسماء أعداء النبيّ (ص) من الكفّار، كأبي لهب وأبي جهل.

غير أن المادة الأولى: «**محمد نبي الإسلام**» هي المادة التي جمعت فيها الموسوعة الإسلامية، باختصار وانتقاء، أحداث السيرة النبوية، وحشدت فيها معظم ما تردّد في كتابات المستشرقين عن السيرة النبوية من أخطاء وافتراءات. وقدّمت ذلك بأسلوب يقوم على المراوغة والالتواء حيناً، وعلى الكذب الصريح والطعن المتعمّد حيناً آخر.

وحرصاً على الاختصار وتجنباً للتكرار، اختصرتُ الأخطاء التي نثرتها الموسوعة الإسلامية في مختلف المواد المتّصلة بالسيرة النبوية، بعبارة عربية واضحة، من غير أن ألزم نفسي بالترجمة الحرفية. ثم قمت بتصحيحها اعتماداً على القرآن والحديث ومصادر السيرة والتفسير والتاريخ. والتزمت في ذلك الموضوعية، وتجنّبت التحامل والعبارات الجارحة، على قدر المستطاع. وباللّه التوفيق.

تمهيد:

طريقة المستشرقين في التعامل مع السيرة النبوية

أوّلاً: نبذة عن منهجهم في الدراسات الإسلامية:

في البداية يجب الاعتراف بكل وضوح وصراحة بجهود المستشرقين في خدمة التراث العلمي الإسلامي. لقد كرّسوا طاقاتهم لدراسة العلوم الإسلامية، وشغفوا بالبحث في كنوزها، وبذلوا في تحقيقها وتحليلها جهوداً ضخمة. ويكون من المكابرة والجحود إنكار فضلهم وجهودهم. فبفضل تلك الجهود برز كثير من كنوز التراث العلمي الإسلامي إلى الوجود، بعد قرون من الانزواء في المكتبات، وعرفت طريقها إلى النشر ومعانقة النور. فكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وطاقاتهم.

ومع الاعتراف بفضلهم، يجب التأكيد أن عدداً كبيراً منهم كان هدفه البحث عن مواضع الضعف في الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي واستغلالها لغايات سياسية أو دينية.

إن الأعمال العلمية، التي أنجزها المستشرقون في شتى فروع الدراسات الإسلامية، بحر لا ساحل له، ولكن أكثر تلك الأعمال انتشاراً وتداولاً، بين الباحثين من جميع المستويات، هي دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها وأشرف على تحريرها نخبة من المستشرقين، برعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية. وجلّ موادها متعلقة بالإسلام والمسلمين، وفيها كثير من الآراء والمعلومات التي تحتاج إلى المراجعة والتصحيح.

وإذا عرفنا أن هذه الدائرة لها تأثير كبير في تقديم صورة غير صحيحة عن الإسلام، وأنها مليئة بالأباطيل، أدركنا كيف يدرس المستشرقون الإسلام، وكيف ينظرون إلى الحضارة الإسلامية، وأحسسنا بضرورة القيام بمراجعتها وتصحيح أخطائها، والتنبيه على ما فيها من معلومات وآراء تسيء إلى الإسلام والمسلمين.

ومع أن بعض المستشرقين المحدثين قد تطوّرت أفكارهم وأحكامهم، وتخلّصت من كثير من مظاهر التحيّز والتهجّم الذي يمليه اختلاف الدين أو المصلحة، أو الذي يسبّبه قلّة ما لديهم من المصادر وجهلهم باللغة العربية وسوء الترجمة القديمة، مع ذلك، فإن بعض كتاباتهم عن الإسلام وتراثه العلمي والديني لا تزال تنطوي على أنواع من الدس والتشويه عن سوء النية حيناً، وعن سوء الفهم للحقائق التاريخية وخصائص التصور الإسلامي حيناً آخر.

لقد كان هؤلاء المستشرقون ولا يزالون بعيدين عن الكثير من الحقائق الخاصة بالثقافة الإسلامية. وسيبقون كذلك ما داموا

يعيشون في محيط ثقافي وفكري غريب عن الثقافة الإسلامية، وما داموا ينظرون بمنظار مصبوغ بألوان بيئتهم وثقافتهم الأولى.

ثم إن نشأتهم وانتماءهم إلى محيط فكري مادي سيجعلان فهم الروحانية التي امتازت بها الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي صعباً عليهم، لأن التفسير المادي والتاريخي وحده لا يصلح لتفسير أعمال المسلم وسلوكه، ولا لدراسة التاريخ الإسلامي وأحداثه. فمقصد المسلم من كل عمل ينجزه في حياته هو، قبل كل شيء، ابتغاء مرضاة اللّه. ولذلك فنظرته للأشياء ومعاييره لتقدير قيمتها، تختلف جوهرياً عن نظرة الإنسان المادي ومعاييره: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

مآخذ على منهج المستشرقين المحدثين:

كان المستشرقون القدماء يعلنون بصراحة عداوتهم للإسلام، ويمضون في قذفه بكل نقيصة، ورميه بكل مساءة، والتحامل عليه بالكذب والافتراء.

أما المحدثون منهم، فقد غيّروا أسلوبهم، وتخلّوا عن الطعن المباشر، والعداوة المعلنة. وتظاهروا بالإنصاف والموضوعية، والخضوع لمقتضيات البحث العلمي، وقصدهم بذلك استهواء القارىء المسلم وكسب ثقته، فيعترفون بأخطاء أسلافهم،

ويظهرون بعض محاسن الإسلام، ويدرجون في ثنايا الكلام ما يريدون من الدسّ والطعن.

والقارىء المسلم الحصيف يكشف تلك الدسائس التي تختفي وراء ستار التظاهر بالإنصاف والموضوعية. وقد بيّن بعض مفكّري الإسلام المحدثين أن كتابات هؤلاء أشد خطراً على الإسلام من كتابات أولئك الذين يكاشفون بالعداء ويشحنون كتبهم بالكذب والطعن والافتراء، لأنها تفلح بأسلوبها المراوغ، في التأثير على القارىء غير الحصيف. فلا يكاد ينتهي من قراءتها حتى يميل مع أفكارها. ولهذا رأينا من المفيد أن نعرض هنا بعض المآخذ التي يؤاخذ بها هؤلاء المستشرقون المحدثون في المنهج الذي كتبوا به عن الإسلام.

١ ـ التستّر بالموضوعية:

كثير من هؤلاء يعلنون في دراساتهم أنهم موضوعيون ويتظاهرون بالحرص على تقديم معلومات صحيحة، ويتطوّعون بذكر بعض الجوانب الإيجابية المتعلقة بالإسلام وحضارته، ممّا قد يعطي انطباعاً لدى القارىء بأن الباحث موضوعي ملتزم بالخضوع لما يفرضه المنهج العلمي الصحيح، لكن النظر الثاقب والقراءة المتفحّصة لدراسات هؤلاء، تكشف عن كثير من الأوهام والأباطيل.

إن هؤلاء، الذين تستروا تحت ستار الموضوعية والإنصاف، لا يختلفون في واقع الأمر عن غيرهم من الذين كتبوا عن الإسلام إلا في شيء واحد، هو أنهم لم يظهروا تعصّبهم

وتحاملهم على هذا الدين بطريقة مكشوفة، وحاولوا أن يقدّموا آراءهم في صورة تجذب المسلمين.

غير أن الدارس المنصف لا ينكر أن مسيرة الاستشراق الحديث عرفت من بين المنخرطين فيها، مَن أبت عليه عقليته العلمية أن ينقاد بفكره لنزعات تنصيرية أو أطماع استعمارية، وحاول أن يكون موضوعياً صادقاً، يجهر بما يصل إليه من حقائق دون أن يعير أي اعتبار لمؤثرات خارجية، ومن بين هؤلاء من ارتضى الإسلام ديناً، وأصبح من المدافعين عنه.

٢ ـ وضع أهداف علمية مشبوهة:

من عادة المستشرقين أنهم يعيّنون لهم غاية وهدفاً علمياً مشبوهاً، ويقرّرون في أنفسهم تحقيقه بكل وسيلة، ثم يتصيدون له الأدلة، ولا يهمهم أن تكون أدلّة صحيحة مستمدة من مصادر ومعلومات موثقة. لذلك تراهم يجمعون المعلومات من كل رطب ويابس، سواء من كتب الأدب والشعر أو من كتب القصص والمجون والفكاهة، ثم يقدّمونها، بعد التمويه، بكل جرأة، ويبنون عليها أحكاماً عن الإسلام لا وجود لها إلا في نفوسهم وأذهانهم. وكثير من هؤلاء يدسّون في كتاباتهم مقداراً من السم، يحترسون في ذلك فلا يزيدون على نسبة مقدّرة كي لا يستوحش القارىء المسلم، ولا يثير ذلك عنده الحذر، ولا يضعف ثقته بالمؤلِّف.

٣ ـ رعاية الكنيسة للاستشراق:

إن رعاية الكنيسة للاستشراق منذ بدأ، ثم رعاية السياسة